العدد: 01/ مارس 2024 المجلد: 19 ISSN: 1112-7015
ص:292-301 EISSN: 2602-5973

من الكفاية اللّسانية التّركيبية إلى الكفاية اللّسانية النّصيّة

LINGUISTIC COMPETENCE: SHIFTING FROM SENTENCE STRUCTURE TO TEXTUAL.

مليايي إكرام *
[1] جامعة أحمد زبانة - غليزان الجزائر، ikram.meliani@univ-relizane.dz

تاريخ الإرسال: 2023/06/08	تاريخ القبول:2024/01/26	تاريخ النشر: 2024/03/30

ملخص: يسعى هذا المقال إلى رصد أهم المسوغات التي أسهمت في تغيير وجهة البحث المرتبطة بالدراسات اللسانية، وأخرجت الرؤى والمفاهيم من الضيق إلى فضاء أكثر رحابة واتساعا، ومن ثم ظهر وعي منهجي جديد في النصف الثاني من القرن العشرين على يد عصبة من الباحثين الألمان وغيرهم من المنشغلين بهذا المجال، بحيث أحدثوا تغييرا جذريا في مسار الدرس اللساني وأقروا بوجود وحدة أكبر من الجملة وهي النص بوصفها وحدة تنفلت من معيارية التّنظير إلى إجرائية التّطبيق، ومن السكون إلى الحركية والفاعلية؛ لأن نحو النّص ينهض على التّطبيق وينأى عن التّنظير.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، النحو، الجملة، النص.

ABSTRACT **:** The present research paper attempts to cast light on the different and sophisticated aspects that contributed largely in the blossom of scientific method in linguistic studies by bringing to the surface a set of vivid insights and perspectives. As a matter of fact, the second half of the twentieth century marked a mass awareness in the field of linguistics in which a group of German linguists and other intellectuals brought to the fore some revolutionary beliefs that were at the origin of a drastic change and transformation in the field of linguistics. The interest switched from looking at the sentence as the basic linguistic unit to the text as a fundamental one. The latter could be studied and analysed not only from a theoretical point of view but mainly from a practical perspective because syntax is subject to practical applications.

Keywords: Linguistics, syntax, sentence, text.

إنّ المتتبع لخريطة المسار التطوري للدّراسات اللّسانية انطلاقا من مفاهيم دي سوسير، يلفي أنها ظلّت لفترة طويلة توجّه عنايتها كاملة للجملة ولا تتجاوزها إلا نادرا، إذ كانت الجملة هي الوحدة الكبرى التي وقف عندها النحاة، ولم يتناولوا وحدة أكبر منها.

أولا. مفهوم الجملة في الدرس اللغوي العربي والغربي:

لقد حظيت الجملة – قديما وحديثا- باهتمام الدارسين؛ لأنها تشكل محورا مهما في اللغة، فهي البناء واللَّبِنة الأساسية التي بها يستقيم الكلام، وقد عرف مفهومها تطورا من عصر سيبويه **(ت 180هـ)** إلى العصر الحديث

* المؤلف المرسل

بفضل التراكم المعرفي وتطور العلوم اللغوية، وظهور نظريات لسانية جديدة، أسهمت في تغيير كثير من المفاهيم والتصورات.

أ. الجملة في اللغة:

ورد في معجم لسان العرب لابن منظور **(ت711ه)** تعريف الجملة: " والجُمْلَة: وَاحِدَةُ الجُمَل. والجُمْلَة: جَمَاعَةُ الشَّيْءِ. وأَجْمَلَ الشيءَ: جَمَعه عَنْ تَفْرِقَةٍ. والجُمْلَة: جَمَاعَةُ كُلِّ شَيْءٍ بِكَمَالِهِ. قال الله تعالى :﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾[1]، وقال الرازي في مختار الصحاح **(ت760ه):** قال ابن السكيت" الجمَل، أيضا حبل السفينة الذي يقال له القلس، وهو حبال مجموعة".[2]

فالذي يمعن النظر في المعنى اللغوي للجملة في المعاجم العربية يدرك أنه لا يخرج عن كونها تدل على كل ما هو متراص مترابط ومتماسك، كما أنها كذلك بمعنى جمع الأشياء المتفرقة كالحبال، والآية التي أوردها ابن منظور دلت على المرة الواحدة التي تفيد التجمع والضم.

ب.الجملة في الاصطلاح:

1. مفهوم الجملة لدى النحاة العرب القدامى:

اشتغل النّحاة على الجملة العربية، بوصفها تركيبا لفظيا يجري به النّطق في سلسلة كلامية، تتتابع ألفاظها لتفضي إلى معنى يحسن السكوت عليه، انطلاقا من تصوّرهم للعملية الإسنادية القائمة أساسا على المسند والمسند إليه، وكان سيبويه **(ت 180ه)** قد أشار إليها بقوله:" وهما ما لا يَغْنىَ واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلّم منه بدّا. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه. وهو قولك عبد اللّه أخوك، وهذا أخوك. ومثل ذلك يذهب عبد اللّه، فلابدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوّل بُدٌّ من الآخرِ في الابتداء."[3]

يبيّن سيبويه في هذا القول أنّ المسند لا يغنى عن المسند إليه، ولا يجد المتكلّم غنى بأحدهما عن الآخر لفظا أو تقديرا، وهي في الوقت نفسه إشارة ضمنية إلى العلاقة التّي تربط كلمتين على الأقل في التراكيب اللّغوية، وهذا ما ذهب إليه أيضا الشريف الجرجاني **(ت816ه)** في تعريفه الإسناد بأنّه نسبة أحد الجزئين إلى الآخر، وفي اصطلاح النّحاة عبارة عن ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة، أي على وجه يحسن السكوت عليه.[4]

وقد انقسم النحاة العرب في تناولهم لمفهومي الكلام والجملة إلى فريقين اثنين، فريق يرى أنّ الكلام والجملة مترادفان، ومن هؤلاء: أبو علي الفارسي، وابن جني، والزمخشري، وابن يعيش، وأبو البقاء العكبري، وفريق آخر يرى أن الكلام والجملة مختلفان، ولكل مصطلح مفهومه الخاص به، ومن هؤلاء: ابن مالك الأندلسي، وابن هشام الأنصاري، ورضي الدين الأستراباذي، والشريف الجرجاني، والسيوطي.

2. مفهوم الجملة لدى النحاة العرب المحدثين:

إنّ المتأمل في دراسات المحدثين التي تغص بتعريفات متعددة ومتنوعة للجملة، يدرك بيسر أنّهم لم يتفقوا على مفهوم محدد لها، وهذا ناتج لاختلاف منطلقاتهم وتوجهاتهم، فكل واحد نظر إليها من زاويته، وعرفها بطريقته، ومن هؤلاء:

إبراهيم أنيس الذي عرّفها بقوله: " أقلّ قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاّ بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"؛[5] وهنا يجيز إبراهيم أنيس أن تتركب الجملة من كلمة واحدة، والإسناد ليس

شرطا لتركيب جملة صحيحة، عكس ما نجده عند مهدي المخزومي[6] وتمّام حسان[7] بحيث كلاهما جعل الإسناد مقوما أساسيا من مقومات الجملة.

وبعد عرض أراء المحدثين حول مفهوم الجملة، تبين لنا أنّ معظم التعريفات تصب في شرطي الاستقلالية، والإفادة، والعامل المشترك بين النحاة القدامى، والدارسين المحدثين هي عبارات محورية تتمثل في: "كل كلام مستقل بنفسه" و"يؤدي معنى كاملا".

وانطلاقا من هذا التصور، يمكننا أن ننظر إلى الجملة على أنها أصغر وحدة تواصلية، تؤدي وظيفة دلالية، لتحمل فكرة إلى المتلقي، إذ لا يمكننا أن نتصور الوظيفة النحوية التي تتضمنها الجملة، بمنأى عن الدلالة المستفادة من التركيب اللغوي.

ومن هنا يعدّ المعنى من الروافد الرئيسة التي عوّل عليها النّحاة العرب في تصورهم للجملة وتحليلها، بوصفها أكبر وحدة نحوية تقبل التحليل اللّغوي، وهذا ما شكّل لديهم دافعا قويا لتجاوز الشكل التّركيبي للجملة وتوجيه عنايتهم إلى الإفادة[8] فجعلوها أصلا.

وبعد ما وقفنا على تصور العرب الأقدمين والمحدثين للجملة العربية القائم أساسا على الاستقلالية والإفادة المعبَّر عنها بكل تركيب لغوي مستقل بنفسه، ويؤدي معنى كاملا، ولاكتمال التصور العام للجملة في الفكر اللغوي الإنساني، يتوجب علينا أن نعرج على التراث اللغوي الغربي، لعلّه يمدنا بنظرة ندرك من خلالها تصور الدّرس الغربي للجملة، الأمر الذي سيسمح لنا بتتبع مسار النّحو، وكشف مسوغات ارتحاله من الجملة إلى النص.

3. نحو الجملة في الدّرس اللّساني الغربي:

لقد نهل الدّارسون الغربيون من الفكر اللّغوي اليوناني والرّوماني والهندي بوصفه مرجعية مهمة أخصبت الفكر الغربي الحديث، وأثرته معرفيا ومنهجيا، وذلك لتأثر دارسي الغرب بآراء وأفكار اليونان والرومان والهنود دون غيرهم، إذ كان مفكرو اليونان يدرسون النحو وينعتونه بالبلاغة **(Rethoric)** ويلحقون بها دراسة الجملة وأنواعها، وأصناف البديع والمحسنات اللفظية، فهم الذين قسموا الجملة إلى أربعة أنواع: جملة الدعاء، والسؤال، والأخبار، والأمر[9].

كما نسجل دخول أرسطو **(Aristolle) (ت322ق.م)** تاريخ الدراسات اللغوية باعتباره مؤسسا للنحو الأوروبي التقليدي، وبقيت أفكاره حول أقسام الكلام سائدة لقرون. وترتبط جذور المقارنة التقليدية للنحو المعتمد من قبل أرسطو بما خلّفه أستاذه أفلاطون **(ت347 ق.م)** في تعريف الجملة بقوله:" هي تركيب مؤلف من عناصر صوتية تحمل معنى محددا قائما بذاته، ولكن كلاً من مكوناته يحمل - في الوقت نفسه- معنى خاصا به أيضا"[10]

وجاء في تعريف أفلاطون للجملة في قوله:" إن الجملة هي تعبير عن أفكارنا عن طريق أسماء**(Onamata)** وأفعال**(Rhemata)** وهذه الأسماء والأفعال تحكي أو تعكس أفكارنا في مجرى النفس الذي يخرج من الفم عند الكلام."[11]

حظيت الجملة بوصفها وسيلة لتحقيق التواصل والتّفاهم باهتمام كل الأقوام على اختلاف مشاربهم، يقول إدوارد سابير(**Edouard Sapir 1884-1939**):"إنّ لكلّ لغة عبقرية خاصة لا يستطيع أي كاتب أن يعبّر عنها كاملة وأبرز ما تظهر فيه هذه العبقرية تركيب الجمل."[12]

ويتضح في ضوء ما سبق أن تعريف الجملة يبقى من القضايا المعقدة جدا، الأمر الذي حال دون التوصل إلى تعريف شامل وواضح، وتدل كثرة التعاريف للجملة وتنوعها عند لغويي الغرب على عدم التوصل إلى حسم قضية مفهوم الجملة، وهذا راجع إلى كون الجملة تكوينا معقدا، ومتعدد المستويات، وينضاف إليها اختلاف منطلقات ومدارس اللغويين، وطبيعي أن تتشتت الجهود وتسمح بتسرب الغموض لمفهوم الجملة.

وهذا دي سوسير قبل أن يطرح بديله المنهجي المتوخى من الدّراسة، قدّم نظرة تقويمية للفكر اللّغوي الذّي كان سائدا، بدءًا من الدّرس اللّغوي لدى الهنود، ومرورا بالدّرس اللّغوي اليوناني والرّوماني بوصفه الوريث الشّرعي من النّاحية التّاريخية للحضارة اليونانية.

كما أقرّ فردينان دي سوسير(**Ferdinand De Saussure**) بأنّ الوحدات اللّغوية تتحدّد بالنّظر إلى علاقاتها بغيرها من الوحدات الأخرى؛ لأنّ الوحدة لا تتحدد بناءً على جوهرها، وإنّما على الوظيفة التي تؤدّيها داخل النّظام[13]، ونظر أندري مارتيني(**André Martinet**)إلى الجملة بكونها كلّ عبارة ترتبط جميع وحداتها بمسند وحيد أو بمسندات مترابطة[14].

استمرت الجملة إلى نهاية السّتينات وهي تشكّل موضوع الدّراسة اللّسانية بوصفها أكبر وحدة قابلة للوصف والتّحليل، ويعضد هذه الفكرة ما قدّمه فردنان دي سوسير.(**Ferdinand De Saussure**)من تعريف للجملة على أنّها تتابع من الرّموز وأن كلّ رمز يسهم بشيء من معنى الكلّ ، لهذا كلّ رمز داخل الجملة يرتبط بما قبله وبما بعده، وينعت هذا التّتابع في إطار الجمل بـ:(**Syntagmatique**).[15]

فالجملة عند فردنان دي سوسير(**Ferdinand De Saussure**)" منظومة من العلامات التي تعبّر عن فكرة ما" [16]

المتأمل في هذه التّعريفات ندرك أنّ منها ما يرتكز على الجانب الدّلالي في تعريف الجملة، ومنها ما يرتكز على الجانب الشّكلي، ومنها ما يعتمد الجانبين معا، وهذا ما يؤكّد استقلالية الجملة، وبُعدَها عن السّياق الاجتماعي، كما يتبيّن– أيضا - أن الجملة تتحدّد خصائصها من التّتابع الخطي أو توالي أجزاء الجملة وفق العلاقات التّركيبية والاستدلالية، كالآتي:

أ- الاستقلالية في المعنى.

ب- العلاقة الإسنادية وهو ما يؤكّد القول أن الجملة هي "وحدة تركيبية تؤدّي معنى دلاليا واحدا واستقلالها فكرة نسبية تحكمها علاقات الارتباط والرّبط والانفصال في السّياق[17]"وبالتّركيز على التّعريف الخاص بالجانب التّجريدي أو الوحدة التّجريدية يتبيّن لنا أن الجملة نوعان:

أ-جملة نظام: ويظهر في شكل الجملة المجرّدة الذّي يتولّد عنه جميع أشكال الجملة الممكنة.

ب- جملة نصية: وهي الجملة المنجزة أصلا في النّص.[18]

وإذا أردنا تتبع خريطة المسار التطوري للدّراسات اللّسانية، انطلاقا من مفاهيم دي سوسير، لألفينا أنها ظلّت لفترة طويلة توجّه عنايتها كاملة للجملة ولا تتجاوزها إلا نادرا، إذ كانت الجملة هي الوحدة الكبرى التي وقف

عندها النحاة، ولم يتناولوا وحدة أكبر منها " حين كان النحاة يتكلمون عن عطف الجمل...كان منطلقهم من علاقة الجملة الواحدة بأختها، ولم يحدث أن شملوهما معا بمصطلح واحد يتخطى مفهوم الجملة."[19]

ويجمع الباحثون اللّسانيون على أن طموحات لسانيات الجملة كانت محدودة، بل متواضعة حيث كانت الجملة أقصى حدٍّ لاهتماماتها من خلال مكوناتها، وما كان اختيار الجملة إلاّ " بمثابة عينة دالة على بقية الجمل في النص، ومن ثمّ كان عمل اللّساني شبيها بعمل من يجري تحليلا لإحدى العينات"[20]وقد تناوب على اللّسانيات اللّغوية عدة مناهج لم تخرج كلّها في دراستها عن إطار الجملة، ومن المناهج التي تناوبت عليها نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر: المنهج البنوي والمنهج الوظيفي والتوزيعي والتحويلي والتوليدي.

وإذا كان الأمر كذلك، فإنه من الضروري أن نقف عند ثلاثة تحولات كان لها تأثير مباشر وغير مباشر في تهيئة الأرضية منهجيا ومعرفيا لارتحال النّحو من حرج الجملة إلى رحابة النص والخروج بالرؤى من السكون إلى الفاعلية والحركة، وهي:[21]

1- سلطة النسق: وينهض مفهوم النسق على إدراك كلي شمولي لعناصر ترتبط فيما بينها وتتفاعل بحكم علاقات ثابتة تحافظ على استمرارية النسق وبقائه، ويرتبط بمفاهيم دي سوسير الذي ينظر إلى اللغة بوصفها نسقا.

2-سلطة البنية-الوظيفة: توجهت جهود المنتمين إلى مدرسة براغ اللسانية إلى تعزيز دراسة النسق بوصفه بنية متجانسة بتجانس عناصرها، إذ تتحقق هذه البنية في حالة لغة ضمن مكان وزمان محددين.

3-سلطة الجملة: نالت الجملة حظا أوفر في دراسات المدرسة اللّسانية الأمريكية بخاصة مع المدرسة التوزيعية.

هذه هي المحطات الكبرى التي شكلت المسار التطوري للدّرس اللّساني بعد دي سوسير، وبقي لنا أن نعرف كيف تم ارتحال النحو من الجملة إلى النص.

ثانيا. البدايات التّأسيسية للسانيات النسقية:

وقد أسهمت الدّراسات اللّسانية السائدة بوصفها إرثا قبليا في إخصاب أرضية صلبة نتج عنها وعي منهجيّ عميق في الثقافة اللّسانية النّسقية المعاصرة، سرعان ما تبلور في اتجاه جديد ينعت بنحو النّص، وينهض هذا المصطلح على هدف واحد وهو الوصف والدّراسة اللّغوية للأبنية النصية "نحو النّص من المصطلحات التي حدّدت لنفسها هدفا واحدا وهو الوصف والدّراسة اللّغوية للأبنية النّصية وتحليل المظاهر المتنوّعة لأشكال التّواصل النّصي."[22]

إنّ الحديث عن بدايات التّأسيس المعرفي والمنهجي لنحو النّص، هو حديث يرتبط أساسا بالنصف الثاني من القرن العشرين، أين بدأ يظهر هذا الوعي المنهجي الجديد، في مرحلته الجنينية مع أعمال عصبة من باحثين ألمان برعاية هارالدفاينريش[23](**Harald Weinrich**)وبيتر هارتمان (**Peter. Hartmann**)وسيغفريد يوهانس شميث **Siegfried Johannes**) [24](**Schmidt**)، وغيرهم[25] من المنشغلين بالنص بوصفه وحدة أكبر من الجملة، وهذا الفهم كان كافيا لطرح البديل المتوخى، الأمر الذي اقتضى من هؤلاء الباحثين تغيير القبلة البحثية على نحو قادر على أن يتخذ النّص مضمار نشاطه الإجرائي، وبذلك ينأى عن تفلت الأبعاض، وينزع نحو ائتلاف الكل، والتّمكن من بعث المعالجة النّصية قراءةً وتفسيرا وتأويلا مع استحداث آليات إجرائية جديدة

لتعزيز المنهج الجديد، وهذا ما هيأ الأسباب لانعقاد أول مؤتمر لدراسة مسوغات اعتماد الدراسة النّصية وكان ذلك سنة **1967**م بمدينة كونستانس[26]**(Constance)**.

وتبلورت الفكرة فأصبحت أكثر عمقا ونضجا مع العالم الهولندي فان ديك **(Van Dijk)** الذي أخرج الدراسة اللسانية من ضيق العملية الإسنادية على مستوى الجملة إلى سعة الاتساق ورحابة الانسجام، ويعضد هذا الفهم " لقد توقفت القواعد واللسانيات التقليدية غالبا عند حدود وصف الجملة، وأما في علم النص، فإننا نقوم بخطوة إلى الأمام، ونستعمل وصف الجمل بوصفه أداة لوصف النّصوص، وما دمنا نستتبع هنا المكونات المعتادة للقواعد، ونستعمل النّصوص المستخدمة بغية وصف الجمل، فإنّنا نستطيع أن نتكلّم عن قواعد النّص."[27]والمتأمّل في هذا النّص يدرك بيسر أنّه بمثابة الإعلان عن نشأة اتجاه جديد في الدّراسة اللّسانية التي تتخذ النّص موضوعا له.

وأغرق بعض الباحثين في البحث عن بدايات الاهتمام الأولى بالنّص تجاوزا للجملة باعتبارها وحدة لغوية كبرى، واجتهدوا في طلب إشارات أو إيماءات -قال بها بعض المنشغلين بالنص- تتيح لهم إمكانية تجاوز مجال الجملة، ليحصوها ضمن البدايات الأوّلية لنحو النّص، و"يشير فولف جانج درسلر**1939**(**Wolfgang U. Dressler**) في معرض حديثه عن بعض الأعمال التي يمكن أن تعد الأفكار الواردة فيها بدايات علم لغة النّص إلى العمل المبكر لهنري فايل"[28]**(H.Weil 1887)**الذي بيَّن أهمية علاقات تتابع اللّفظ على تتابع الأفكار.

كما يشيرون إلى أنّ البداية تعززت بأطروحة باحثة أمريكية، وهي ناي **(I.Nye)** لنيل شهادة الدكتوراه سنة **1912**م أين عرجت في فصل من الأطروحة على الترابط بين الجمل وعلاقاتها الداخلية، وهذه الفكرة أوحت لها، أنها دعوة لتجاوز مجال الجملة في التّحليل اللّساني إلى مجال النص.[29] كما أُخِذَت إيماءةُ هيلمسلف[30]**(Louis Hjelmslev)** بعين الاعتبار لما تناول ظاهرة التناسق والترابط، وهذا يدخل ضمن الاشتغال بنحو النص.

هذه الدّراسات التّي سبقت أعمال زيليغ هاريس **Zellig Harris**بوصفها بدايات فعلية في اتخاذها النص موضوعا للبحث، أسهمت بشكل مباشر وغير مباشر في إخصاب الأرضية، وإن كانت في جوهرها محدودة وجاءت مبثوثة ومتناثرة في مواضع مختلفة من الدّراسات، وحينها بدأ زيليغ هاريس zellig Harris يبشِّر بنقل المناهج التركيبية في التجزئة والتصنيف وبناء الأقسام والتماثل، إلى النصوص.[31] ولما وجّه الدّراسة البنوية نحو النص، فشرع في فرض وجوده، وبخاصة بعد نشر دراسته الموسومة: "تحليل الخطاب" **(Discourse analysis)** وكان ذلك مع بداية سنة **1952**م، ومن هنا يكون قد هيأ الظّروف الملائمة لاحتضان البديل المنهجي المتوخّى الذّي سيحرّر الدّراسات اللّسانية من سلطة الجملة بغية رَوْزِ بنية النّص وكشفِ أنساقه، اعتمادا على الأدوات الإجرائية اللّسانية الوصفية.[32]وهكذا أخرج نحو النّص الدّراسات اللّسانية من "مأزق الدّراسات البنيوية التّركيبة التي عجزت في الرّبط بين مختلف أبعاد الظّاهرة اللّغوية"[33]

والحاجة إلى الإشباع العلمي والإفاضة المنهجية هي التي هيّأت الأسباب لتغيير وتطوير المفاهيم والآليات الإجرائية المرتبطة بالدّراسة البنوية التركيبية، وإخراجها من السّكون والجمود إلى الحركة والفاعلية، من الجملة إلى النص، ومن ثمّة بدأت الدّراسة النّصية تعزّز سيادتها المعرفية والمنهجية، ونُعتت بمسمّيات متعددة منها نحو النّص (**du texte Grammaire**) ولسانيات النّص**(Linguistique du texte)** واللّسانيات النّصية**(Linguistique textuelle)** .

ثالثا. مسوغات الانتقال من اللسانيات التركيبية إلى اللسانيات النصية:

إنّ الانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى النّص في الثّقافة اللّسانية المعاصرة ينهض على مسوّغات كافية لتجاوز إخفاقات نحو الجملة، وتجاوز نقاط القصور التي أحصاها الباحثون اللّسانيون في النّظريات اللّسانية عبر فترات زمنية مختلفة، وجاء هذا الانتقال بغية معالجة القصور والإخفاقات، التي أفرزها النّقد وإعادة النظر المستمرة في المنجز اللساني القبلي بحثا عن أنموذج معرفي ومنهجي جديد، ليسهم في دفع عجلة البحث اللّساني وتطويره. أمّا الأسباب التّي أسهمت في صناعة مناخ ارتحال النّحو من الجملة إلى النّص، فهي متعدّدة ومتنوّعة، يمكن حصر أهمّها في النّقاط الآتية:

1-نحو الجملة لا يمكنه أن يقدّم تصوّرا واضحا للعلاقات بين الجمل بكيفية واضحة.

2-الجملة مستقلة عن السّياق، وبالتّالي لا تمثل إلاّ دلالة جزئية، بل لا تتعدّى المعنى المعجمي للوحدات الصّوتية التّي تشكّل الجملة.

3-الجملة تنهض على نظام افتراضي.

4-الجملة أثرها محدود في المواقف الإنسانية.

5- نحو الجملة يمثل البنية السّطحية، أما النص فيمثل البنية العميقة.

6-نحو النص منهج إجرائي، وينشأ بعد أن يكتمل النص، ويستمد قواعده من داخله.

7- حصر تمام حسان سمات نحو الجملة في أربعة، وهي: الاطراد والمعيارية والاطلاق والاقتصار، وأما الاطراد، فيعني ثبات القاعدة، وما يخرج عنها فهو شاذ، أما نحو النص فينأى عن الاطراد، ويرتهن لكل ما هو فردي؛ "لأنّه يعترف بالمؤشرات الأسلوبية، وهي تصرفات فردية يلجأ إليها منشئ النص ليثير انتباه المتلقي، وهي لا تأتي على نسق مطّرد"[34] وأما المعيارية[35]-فسبقت الإشارة إليها، وأما الإطلاق فيعني "أن نطلق القاعدة لتصدق على ما قيل أو سيقال، فهي الحكم الذي يرد إليه كلّ كلام في نحو الجملة."[36] وأما الاقتصار وهو أن يقتصر بحث العلاقات في حدود الجملة الواحدة، ولا يتعداها إلا للاستدراك أو الإضراب أو الدّلالات التّي تربط بين جملتين مثل التّعليل أو الشّرط.

08-الدلالة الكلية للنص تنهض على دلالات الجمل السابقة واللاحقة وتفاعلها عموديا أو ما شابه ذلك من الدّلالات.[37] وأفقيا حيث يتأتى تضافرها في بناء الدلالة النصة؛ لأن نحو النص لا ينظر إلى الجمل المستقلة والمجتزأة، ولا قيمة لدلالة الجملة الجزئية إلا إذا تفاعلت مع القيم الكبرى التي تشكل جوهر البنية الكلية للنص[38]وانطلاقا من هذا الفهم فالنص ليس مجرد وحدة نحوية أوسع من الجملة، أو متتالية جملية، وإنما هو وحدة دلالية، لها معنى في سياق دلالي يتمظهر في شكل جمل.

09-اعتبار النص حدثا تواصليا في بيئة رحبة تنعت بسياق الموقف الذي أقصاه نحو الجملة.[39]

10-بعض الأفعال اللغوية لا تفسر في نمط الجملة الضيّق، إنّما في معيار من المعايير النّصية.

وفي ضوء ما سبق انتقل الاهتمام في مجال معالجة الأحداث اللّغوية من نحو الجملة إلى نحو النّص باعتباره تجاوزا للقصور التي تعانيه لسانيات الجملة في هذا المجال؛[40] لأن الانطلاق من بنية نحوية صارمة، يعني تضييق مجال الرؤية الذي سيحول دون الإلمام الشامل نسبيا بمجالات النّص الفسيحة.[41]

وفي ضوء ما سبق انتقل الاهتمام في مجال معالجة الأحداث اللّغوية من نحو الجملة إلى نحو النّص باعتباره تجاوزا للقصور التي تعانيه لسانيات الجملة في هذا المجال؛[42] لأن الانطلاق من بنية نحوية صارمة، يعني تضييق مجال الرؤية الذي سيحول دون الإلمام الشامل نسبيا بمجالات النّص الفسيحة.[43]

وبهذا الفهم تتجاوز لسانيات النّص كل حدود المعيارية للسانيات الجملة، كما أنها تتجاوز كل عادات التلقي التقليدية وطرق التّحليل النّحوي المعروفة التي خدمت اللّغة زمنا طويلا وماتزال كذلك.

الهوامش:

[1] - قال الله تعالى:{ وَقالَ الذّينَ كَفَرُوا لَولَا نُزِلَ عَليهِ القُرآنَ جُملةً واحِدةً كَذلكَ لِنُثَبتَ بهِ فُؤادكَ ورَتلناهُ تَرتيلًا} سورة الفرقان:{الأية:32}

[2] ينظر الرازي-أبوبكر الحنفي-زين الدين أبو عبد الله بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(1999م)، ص125

[3] - سيبويه، الكتاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، **1988** 1/23، وينظر المقتضب: المبرد، ج126/4.

[4] -ينظر الشريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، دار الكتاب اللبناني المصري، ط1، بيروت، لبنان، سنة 1991ص22.

[5] - إبراهيم أنيس، من أسرار اللّغة، د. ط5، د.ت، مكتبة الأنجلو المصرية –القاهرة- ص276.

[6] - مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط1، 1964ص 31.

[7]- ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب 1979، ص194.

تمام حسان يشترط في الجملة الإسناد، ويعضد رأيه بحديثه عن تلك العلاقات الإسنادية كعلاقة المبتدإ بالخبر، والفعل بفاعله، والفعل بنائب فاعله، والوصف المعتمد بفاعله ونائب فاعله.

[8] - الإفادة بمعنى العلم المستفاد من الكلام، والكلام لا يكون كلاما إلاّ بها، لأنّها تحقّق معنى يحسن السكوت عليه، ينظر المرجع نفسه 374/2.

[9]- ينظر محمد محمود الغالي، أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1976م، جدة المملكة العربية السعودية، ص76.

[10]- ميلكا فيتش، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، ووفاء كامل فايد، اتجاهات البحث اللساني، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2000م، ص11.

[11]- محمد محمود الغالي، أئمة النحاة في التاريخ، ص 77.

[12]- شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع، ط3، 1996م، القاهرة، ص 46-47.

[13]- ينظر سعيد حسن بحيري، علم لغة النص-المفاهيم والاتجاهات، ص 22.

[14]- ينظر بشير إبرير، من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 401/ 2004، ص 16.

[15]- ينظر حسن سعيد بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات ص19-20.

[16]- فارديناندي سوسير، محاضرات في اللسانيات العامة: ص 87.

[17]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1997م، ص148.

[18]- ينظر الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ص14.

[19] - تمام حسان، الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، د.ط، سنة 2000م، القاهرة ص 309-310.

[20]- المرجع نفسه، ص 19.

[21]- ينظر : أحمد حساني، المرتكزات اللسانية النصية بحث في الأسس المعرفية والمنطلقات المنهجية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد الخمسون، 2016م –دبي- ص107-108-109.

[22]- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001م، القاهرة، ص31.

[23]- هارالد فاينريش هو باحث ألماني كلاسيكي، المعروف باتساع كتاباته، باحث في فقه اللغة والفيلسوف الرومانسي، وتولى رئاسة الأدب الرومانسي من عام 1992 إلى عام 1998.وهو أستاذ فخري فيCollège de France

[24]- سيغفريد يوهانس شميدت من مواليد 28 أكتوبر 1940 في يولوش هو فيلسوف ألماني وعالم في مجال الاتصالات، وبوصفه ممثلا للنزعة البنائية.

[25]- هناك محاولات مجموعة أُخرى من اللغويين، أشار إليها (دي بو جراند) في تصنيفه مراحل تطوّر الدراسات النصّية، فقد جعلها على ثلاث مراحل عامة بحدود زمنية، تبدأ المرحلة الأولى مع ثلاثينيات القرن الماضي وحتى أواخر الستينيات منه، وفضلا عمّا ذكرنا كانت هناك محاولات لـ(إنجاردن، وبوهلر، وبايك، وكوسيرو، وأولدال، وكارلين، وسلاما كازاكو) إلاّ أنّ آراء هؤلاء اللغويين لم تؤثر في مسيرة الدرس اللغوي، والسبب في ذلك يعود إلى أنّ أصحابها انهمكوا في النظر إلى الوحدات الصغرى والجمل، مما أدّى إلى الانصراف عن دراسة النّص.

[26]- كونستانس (Konstanz) مدينة تقع في أقصى جنوب ألمانيا على بحيرة كونستانس على الحدود مع سويسرا، يبلغ عدد سكانها حوالي 80 ألف نسمة لتكون بذلك أكبر مدينة مطلة على هذه البحيرة. المرتكزات اللسانية النصية – بحث في الأسس المعرفية والمنطلقات المنهجية- د. أحمد حساني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، العدد 51، 2016، ص 213.

[27]- فان ديك، ترجمة مندر عياشي، النص بنى ووظائف، مدخل أولي إلى علم النص، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 2004م، بيروت، ج147/1.

[28]- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1998م، ص 17-18.

[29] ينظر علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات: سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1998، ص 18. و Dressler,W: Wege der textlinguistik, ss, 1.2.(ubersatzmassige/BeziehungenZusammenhange)

[30]- لويس هيلمسلافLouis Hjelmslev (1899-1965) باحث لساني أوروبي ساهم في تطوير النظرية اللغوية في كوبنهاغن التي ألهمت عددًا كبيرًا من علماء أوروبا.

[31]- ينظر سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1998، ص18.

[32]- ينظر جميل عبد المجيد البديع، بين البلاغة العربية ولسانيات النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص65.

[33]- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، 2000م، ص167.

[34]- أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، سنة 2001م، القاهرة، ص74.

[35]- فهي موضحة في العنصر الثالث ضمن الأسباب التي أسهمت في إخصاب أرضية ارتحال النحو من الجملة إلى النص، ص52.

[36]- أحمد عفيفي، نحو النص- اتجاه جديد في الدرس النحوي ص74.

[37]- ينظر المرجع السابق، ص74.

[38]- ينظر أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، مكتبة الثقافة الدينية، سنة 2008، القاهرة، ص 44.

[39]- أحمد عفيفي، نحو النص- اتجاه جديد في الدرس النحويص67.

[40]- ينظر مازن الوعر، نظرية تحليل الخطاب واستقلالية الجملة، مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 2003/385.www.awu-dam.org

[41]- ينظر محمد الخطابي، لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب- ص28.

[42]- ينظر مازن الوعر، نظرية تحليل الخطاب واستقلالية الجملة: مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 2003/385.www.awu-dam.org

[43]- ينظر محمد الخطابي، لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب، ص28.

قائمة المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص
- إبراهيم أنيس، من أسرار اللّغة، د. ط5، د.ت، مكتبة الأنجلو المصرية –القاهرة-
- أحمد حساني، المرتكزات اللسانية النصية بحث في الأسس المعرفية والمنطلقات المنهجية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد الخمسون، 2016م دبي. -
- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001م، القاهرة.
- أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، مكتبة الثقافة الدينية، سنة 2008، القاهرة.
- الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- بشير إبرير، من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 401/ 2004.
- التعريفات: الشريف الجرجاني، دار الكتاب اللبناني المصري، ط1، بيروت، لبنان، سنة 1991.
- تمام حسان، الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، د.ط، سنة 2000م، القاهرة.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب 1979

- جميل عبد المجيد البديع، بين البلاغة العربية ولسانيات النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، 2000م.
- الرازي-أبوبكر الحنفي-زين الدين أبو عبدالله بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي1999م
- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات: مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1998
- سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص، المفاهيم والاتجاهات، د. مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر –لونجمان، ط1، 1997 .
- شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع، ط3، 1996م، القاهرة.
- فان ديك، ترجمة مندر عياشي، النص بنى ووظائف، مدخل أولي إلى علم النص، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 2004م، بيروت.
- الكتاب، سيبويه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، 1988
- مازن الوعر، نظرية تحليل الخطاب واستقلالية الجملة، مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 2003/385.
- محمد محمود الغالي، أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة المملكة العربية السعودية ط1، 1976م.
- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1997م.
- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط1، 1964
- ميلكا فيتش، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، ووفاء كامل فايد، اتجاهات البحث اللساني، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2000م.